المحاضرة الخامسة (استراتيجيات البحث الاجتماعي الأساسي)

الاجراءات المنهجية في تصميم البحث الاستطلاعي

هناك عدد من الإجراءات المنهجية المحدودة التي اتضح انها أكثر إثماراً في التعرف على المتغيرات الهامة وفى التوصل إلى الفروض ذات المغزى والاهمية ، أو بعبارة أخري ، هناك بعض الاجراءات المنهجية التي تسهم في مساعدة البحث الاستطلاعي على تحقيق أهدافه ، والقيام بدوره في نمو المعرفة ، ولذلك من المتوقع أن تشمل كل محاولة لوضع استراتيجية منهجية للبحث الاستطلاعي أو اختيار الاجراءات المنهجية في تصميم هذا النوع من البحث ، على مثل هذه الاجراءات المنهجية .

وتشتمل هذه الاجراءات المنهجية على :

١- مسح تراث العلم الاجتماعي الذي له صلة بالموضوع المدروس ، وكذلك جوانب التراث الأخرى التي تسمح لنا باستخلاص نتائج تلقى الضوء على هذا الموضوع .
٢- مسح الخبرات العلمية بين الأشخاص الذين اهتموا بالمشكلة موضوع الدراسة .
٣- دراسة بعض الحالات التي تثري من فهمنا وتزيد من استبصارنا بالمشكلة المدروسة .

وقد تستفيد معظم الدراسات الاستطلاعية من واحد أو أكثر من هذه الاجراءات المنهجية في وقت واحد. ولكن مهما كان الإجراء المنهجي المستخدم والمختار في هذه الدراسة فإنه ينبغي أن ينطوي هذا الاستخدام على قدر من المرونة ، حيث أنه من الضروري مع كل تغيير يطرأ على المشكلة المدروسة من حالة كانت تتسم فيها المشكلة بالغموض في البداية إلى حالة تكتسب فيها المشكلة معنى أكثر دقة ، من الضروري أن تتغير أيضا إجراءات البحث لتناسب جميع المعطيات التي تسمح ببلورة الفروض المتعلقة بهذه المشكلة ، والتي تعيين في الوقت نفسه على أخذ الجوانب المتباينة للمشكلة المدروسة في الاعتبار.

١- مسح التراث:

تستند أهمية عملية مسح التراث إلى المكانة المتميزة التي يضيفها هذا العمل على الباحثين ، ذلك لأنه كلما ذاد مقدار ما يعرفه الباحث من نتائج البحوث ذات الصلة بدراسته ، زادت قدرته على تناول مشكلته وإلقاء الضوء عليها. وتهدف هذه العملية عموما إلى إعادة النظر مرة ثانية فيما هو متاح من تراث (التقارير التي أعداها أخرون) في الميدان المتعلق بموضوع البحث أو حتى في ميدان أخر يمكن أن تثري فهمنا بهذا ا لموضوع.

ولعملية مسح التراث أهداف عديدة ، فهي تساعد الباحث وتعيينه على تناول مشكلة بحثه ، باعتبارها محوراً لكل جهود البحث ، ذلك أنه في اللحظة التي يكون فيها الباحث قد اختار مشكلة معينة فإنه ينبغي أن يتجه بكل جهده نحو البحث عن حل لهذه المشكلة . ويساعد وقوف البحث على ما قام به غيره من جهد في هذا الصدد ، على مده بالاستبصار والمعرفة المناسبة التي تعينه على تناول هذه المشكلة . ويمكن لمسح التراث أن يفيد الباحث من النواحي التالية :

- يمكنه من الكشف عن النتائج التي توصل إليها باحثون سبق أن تناولوا هذه المشكلة وتوضيح كيفية معالجتها لما ينطوي عليها هذه المشكلة من مواقف.
- يمكنه من الإشارة إلى المنهج أو الطريقة التي يمكن بها معالجة موقف المشكلة كما يمكن أن تقترح عليه أساليب التغلب على الصعوبات المماثلة التي يحتمل أن تواجهه .
- يمكن أن يوضح للباحث مصادر المعطيات أو البيانات التي قد لا يعلم عن وجودها شيئا.

- يمكن أن يعرفه بالباحثين الذين يشهد لهم بالكفاءة والأهمية ، والذين قد يعلم الباحث عن جهودهم في البحث أي شيء.
- يساعد الباحث على أن يكون نظرة تاريخية مقارنة بمشكلة بحثه من خلال ربطها بالمحاولات السابقة التي تناولت نفس المشكلة أو مشكلة شبيهة .
- يمكن أن يمد الباحث بأفكار جديدة ومداخل لم يسبق له العلم بها .
- يمكن الباحث من تقييم جهوده في البحث بالمقارنة بينها وبين الجهود المماثلة الأخرى ذات الصلة .

وعموماً تنحصر مهمة مسح التراث في الوقوف على النقاط التي انتهى إليها الأخرون قبلنا ، والتعرف على أهم أوجه النشاط التي كانت تشغلهم .

ولهذا كله ، تعتبر عملية مسح التراث والتأسيس على الجهود التي قام بها بالفعل باحثون أحرون من بين أهم الطرق التي يمكن من خلالها الاقتصاد في الجهد المبذول في أي بحث . وفى الدراسة من النوع الذى نناقشه هنا ينصب المسح على الفروض التي يمكن أن تؤدى إلى بحوث أخرى في المستقبل . وهذه الفروض يعبر عنها صراحة باحثون سابقون في كتاباتهم المختلفة. ومن ثم فإن مهمة مسح التراث هنا تنحصر في عملية جمع تلك الفروض المتباينة والتي سبق التوصل إليها وذلك حتى يمكن تقييم فائدتها كأساس لإجراء بحوث أخرى في المستقبل ، والنظر في إمكانية أن تساعد هذه الفروض على بلورة غيرها من الفروض الجديدة ، خاصة وأنه كثيراً ما تهتم البحوث الاستطلاعية بالمجالات التي لم يتم بعد بلورة فروض حولها ، ولذلك فإن مهمة مسح التراث هنا تنحصر في التعرف على المادة المتاحة والمعطيات المتوفرة وتحسس الفروض التي يمكن اشتقاقها من تلك المادة.

وتأسيساً على هذه الأهمية والاهداف التي يسعى إليها مسح التراث كإجراء منهجي في تصميم البحوث الاستطلاعية ، قد تثار تساؤلات مؤداها : ما هو هذا التراث الذي نقدم على مسحه ؟ وأين نجده؟ وكيف يمكن مسحه والإفادة منه ؟

والواقع أنه إذا سلمنا بأن الهدف العام للبحث الاستطلاعي يتمثل في محاولة بلورة فروض عملية تتعلق بمشكلة جديدة بالنسبة لنا أو مشكلة أخري تقل خبرتنا النظرية أو التطبيقية بها ونريد أن يزداد فهمنا لها من خلال هذه الفروض ، فإن حديثنا السابق عن الفروض العلمية ومصادر تكوينها ، التي تنحصر في نتائج البحوث السابقة ، والنظريات العلمية ، والكتابات الأدبية والتاريخية والفلسفية ، قد يساعدنا في التعرف على طبيعة التراث الذى ينبغي أن نرجع إليه ونجرى الاستعراض اللازم لهذه الدراسة الاستطلاعية.

إذ هناك مصادر متباينة تمدنا بالمزيد من المعلومات المتعلقة بنتائج البحوث السابقة وخلاصة المناقشات النظرية وتصدر في صور بحوث أو مقالات علمية أو ملخصات أو غيرها ، ويمكن أن نذكر من هذه المصادر : الفهارس Indexes والملخصات Abstracts ، والقوائم البيلوجرافية Bibiografy والمجلات والدوريات العلمية Journals والكتب والمراجع العلمية Texts.

وقد يعتقد البعض أن مسح القوائم البيلوجرافية سوف يستغرق وقتا طويلاً وأن الباحث سوف لا يعثر على بحث له دلالته وأهميته فيما يتعلق بالميدان الذى يهتم به . والواقع ان هذا الاعتقاد بعيداً عن الصواب ، وربما كان الذين يتمسكون به هم أولئك الباحثون الذين يفشلون في بناء جهودهم استناداً إلى جهود باحثين سابقين عليهم . إذ ليس هناك ما يبرر القول بعدم توفر مادة وثيقة الصلة بالموضوع ، بدون البحث المتكامل فى نطاق المجالات التي يحتمل أن تضم مقالات حول الموضوع المختار للدراسة .

وكذلك بغير البحث في نطاق منشورات من نوع الملخصات والقوائم البيليوجرافية وقوائم رسائل الدكتوراه التي أجيزت في الجامعات والتي وضعت نسخ لها في كافة المكتبات وكذلك ملخصات الرسائل التي تمدنا بها أجهزة الميكروفيلم

والبحث . هذا فضلا عن مصادر أخرى حكومية وتنظيمات غير رسمية أو تطوعية والتي تقوم بنشر قوائم أو ملخصات للبحوث التي تجري في ميدان اهتمامنا ، والتي تصدر مجلات تضم تقارير للبحوث حول مثل هذه الموضوعات أو القضايا ذات الصلة بالعلاقات الاجتماعية أو غيرها ، إذ تعتبر التنظيمات المهنية وجماعات البحوث ، والتنظيمات التطوعية بمثابة مصادر للمعلومات المتعلقة بالبحوث غير المنشورة في ميدان اهتمامها .

وقد يجانبنا الصواب عندما نحصر أنفسنا في مسح نتائج البحوث والدراسات التي لها صلة مباشرة بالموضوع الذى يشغل اهتمامنا ، وربما كانت هناك وسيلة أخرى أكثر إثماراً في تنمية الفروض أو تكوينها تتمثل في محاولة مسح المفاهيم والنظريات التي تمت بلورتها في ميادين أو سياقات للبحث مماثلة أو مغايرة تماماً عن الميدان الذي ينشغل بدراسته الباحث. وهكذا قد تمدنا النظرية المتعلقة بمستويات التوافق والتي تمت بلورتها في نطاق دراسة المشكلات السيكولوجية بمماثلات مثيرة تفيد المهتمين بدراسة العوامل ذات الفعالية : وقد تمدنا نظرية مستوى الطموح بأفكار مناظرة يفيد من يدرسون الأهداف المتغيرة في المجتمع المحلي ، وكذلك قد تمدنا نظرية التعليم بشيء من الفهم والاستبصار بالعمليات ذات الصلة بتغيير اتجاهات الفرد ، وبمفهوم الدور ، والاغتراب السياسي والمعايير الاجتماعية ، والحاجات السيكولوجية ، والاحباط ، وبناء الجماعات وغيرها من الموضوعات التي قد توجه انتباهنا نحو المتغيرات الهامة في كثير من المواقف الجديدة التي يمكن أن تخضع للدراسة .

كما تعد الاوصاف الحساسة التي تنطوي عليها الكتابات الأدبية والتاريخية والفلسفية خاصة التي وضعها المألوفون ذوي القدرات الخلاقة بمثابة مصدر خصب للفروض التي تحتاج إلى دراسة . إذ يمكن للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن يستفيدوا من ثراء أوصاف الروايات الأدبية ، كما أنه قد يجدون في التراث الأدبي العالمي كثيراً من الإشارات أو التلميحات المثيرة والمتعلقة بالمتغيرات الهامة في المواقف التي يرغبون في دراستها ، فمثلاً تنطوي الكتابات (آلان باتون) (Alan Paton) بعنوان الصرخة ويلد المحبوب ، ومؤلف (جان بول سارتر) عن صورة المعارض ، وكتاب (ريتشادر رايت) عن الأبن الوطني ، وكتاب (الدريدج كليثر) عن روح فوق الجليد ، تنطوي كلها على تحليلات متعمقة توضح أسباب التعصب ونتائجه.

<u>المسح التقليدي والإلكتروني للتراث :</u>

ولكن أين نجد كل مصادر التراث السابقة ؟ وكيف يمكن الإفادة منها وعرضها بطريقة تفيد في تحقيق أهداف عملية مسح التراث هذه ؟

الواقع أن المكتبات العامة والخاصة تمدنا بكثير من الفهارس ، والملخصات والقوائم ، والمؤلفات ، وإذا اردنا أن نعرف الكيفية التي يمكن بها التعامل معه المكتبة ، وأن نتعرف على الطرق التي يسهل من خلالها الإفادة من الأنواع الهائلة من المعلومات المتوافرة بها ، علينا أن نأخذ باعتبارنا بعض التوجيهات المثمرة التي قد تفيد الباحث المبتدئ وهو يشرع في استعراض التراث ذو الصلة ، خاصة عندما يعتمد على أسلوب المسح التقليدي .

المؤلف عنوان المقال أو الدورية أو الكتاب ، واسم الدورية أو عنوان الكتاب ، والناشر وبلد النشر والتاريخ والصفحات المقتبسة منها ، ومصدر المعلومات البيلوجرافية ، والمكتبة التي توجد بها ، والعلاقة بالمشكلة موضوع البحث ، ثم تعليق.

وفيما يلي مثال هذا النوع من الكروت وما يشتمل عليه من عناصر :

رقم مسلسل :

المؤلف :

عنوان المقال :

عنوان المجلة :

الجزء : **الصفحة :** **الشهر :** **السنة :**

مكان النشر : **الناشر :** **تاريخه :** **الطبعة :**

مصدر المعلومة البيلوجرافية بها :

رقم الكتاب في المكتبة :

العلاقة بالمشكلة موضوع البحث :

التعليق :

ويمكن للباحث أن ينسخ أكثر من صورة لهذا الكارت كلما كان ذلك ضروريا ، حتى يستطيع ترتيب هذه الكروت مرة حسب اسم المؤلف ، ومرة حسب الرقم المسلسل ، وأخري حسب الموضوع ، حتى يمكن الاختصار في الوقت والمجهود والبعد عن التكرار .

ومن المفيد ربط الفكرة التي ينطوي عليها كل كارت بالجوانب العديدة لمشكلة البحث ، أو محاولة تقسيم هذه الفكرة ووضعها تحت عناوين مختلفة حيث تساعد كل هذه الخطوات على إضفاء طابع الدقة والتنسيق والاهتمام على جهد الباحث وتوفر الكثير من وقته .

ومن الضروري أن يحرص الباحث على ربط النقاط التي تنطوي عليها الكروت بالمشكلة المدروسة ، بأن يضع مشكلة بحثه أمام عينه باستمرار ، ودائما ما يسأل نفسه كيف ترتبط هذه النقطة من نقاط التراث بالمشكلة موضوع البحث .

ذلك لأن الكشف عن هذه العلاقة لا توقع الباحث تحت إغراء عملية تجميع قدر ضخم من التراث بطريقة غير منظمة .

ولكن كيف يعرض الباحث هذه المعلومات بطريقة تحقق له أهداف عملية مسح التراث ؟ ذلك لأنه قد يجد الكثير من الباحثين صعوبة في الإفادة من هذا المسح الذى أجراه لتراث بحوثهم ، بل كثيراً مالا يعرفون كيف يتصرفون بشأنه ، أو كيف يعرضون نتائج التوثيق الذى قاموا به ، وكيف يفيدون من الاقتباسات التي أخذوها أثناء قراءتهم .

ويمكن الإشارة هنا إلى بعض التوجيهات التي قد تساعد الباحث على تحقيق هذا الهدف.

أن ربط الباحث مشكلة بحثه ومناقشته له لها في صلتها بجهود الاخرين ، وتركيزه على عناصر التراث ذي الصلة ، يجعل الباحث يدرك أو يفهم موضوع بحثه في الإطار المناسب . ومن شأن هذا المسح الواعي للتراث أن يضع أمام الباحث الإمكانيات التي قد لا يكون مدركا لها ويضفى حرص الباحث على تخطيط وتنظيم عناصر التراث ، أهمية كبيرة على هذا الجهد ، ولهذا كان على الباحث أن يرسم معالم مناقشته ويسترشد في ذلك بالمشكلة التي يقوم بدراستها ، لأنها تشير عليه بالمجالات المناسبة التي تحتاج إلى مناقشة كما ترشيده إلى الوجهة التي يجب أن تأخذها عملية مناقشة التراث هذه .

فهناك أولاً الدراسات الكلاسيكية والكتابات ذات الوجهة التاريخية التي مهدت الطريق أمام جهود البحث في هذا المجال ، وهى دراسات تتناول نطاقات أو موضوعات أوسع قد تقع في إطارها مشكلة البحث ،ويساعد الرجوع إليها على ربط نطاق الاهتمام الخاص بالأفاق التاريخية الأوسع ، وعلى تنمية منظور تاريخي يوجه جهود الباحث الخاصة.

وهذا يعنى أن يبدأ الباحث مناقشته للتراث ذي الصلة من منظور شامل يشبه الهرم المقلوب ، القاعدة العريضة ثم يمكن له أن ينتقل بعد ذلك إلى تحليل الدراسات الأكثر تخصصاً والتي لها صلة مباشرة بالمشكلة المدروسة.

المسح الالكتروني للتراث :

وإذا استعان الباحث بأسلوب المسح الإلكتروني للتراث الذى ظهر حديثاً ، وسهل عملية مسح التراث ، يلاحظ أن استخدام الكمبيوتر للاتصال بشبكة المعلومات العالمية يمكننا من استخدام قواعد البيانات الالكترونية من أجل :

١- البحث عن كلمات في عنوان أو ملخص عناصر في قاعدة البيانات المرتبطة بالموضوع محل الاهتمام.
٢- البحث عن كلمات عن طريق أي عنصر مفهرس في قاعدة البيانات .

ومع أن قواعد البيانات ربما تتضمن الكتب ، إلا أن الغالبية العظمى من العناصر عبارة عن مقالات في دوريات ، وسوف نقوم في عرضنا هذا باستخدام كلمة مقال . وتطلب بالدوريات من المؤلفين أن يوفر الكلمات الدالة Keywords وأيضا ملخص عن الموضوع ، وتوفر بعض قواعد البيانات خدمة البحث عن هذه الكلمات الدالة أيضاً في نفس الوقت مثلما توفر العناوين والملخصات.

وهناك عدد من قواعد البيانات الالكترونية المهتمة بالبحوث الاجتماعية والمتاحة من خلال شبكة المعلومات العالمية ، ويحتوي كل منها على تفاصيل النشر في مجال الدوريات المرتبطة بموضوع الدراسة ، كما يتم إدراك بعض قواعد البيانات الرئيسية لفروع معينة من المعرفة في قائمة . ومن المهم أن نلاحظ من ناحية أخري أن هذا المجال متغير باستمرار. وتتضمن التفاصيل على قواعد البيانات عادة ملخصات – ولكن ليس دائما – وأحيانا تتضمن نص المقالات كاملا.

ومعظم قواعد البيانات باللغة الانجليزية ، وتركز على الدوريات الأساسية المنشورة باللغة الانجليزية ، على الرغم من أن مجالها يمتد ليشمل جميع أنحاء العالم . وتحمل بعض قواعد البيانات ملخصات باللغة الانجليزية لمقالات بلغات أخري وتشير كل قاعدة بيانات إلى التاريخ الذى تم فيه وضع ملخص لدورية معينة .

ومن المشكلات التي تواجه المستعرض للتراث هي المفردات المختلفة ، والتهجئة المستخدمة في البلدان المختلفة وفى فروع المعرفة المختلفة . أيضا ، تتغير اللغة بمرور الزمن ، ومع ظهور موضوعات جديدة فإن المفردات ربما لم تصل بعد إلى اجماع على شكل معين لها أو قواعد لضبطها . والطريقة المستخدمة تحتاج إلى استرجاع البطاقة واسعة الانتشار Wild-Card (والتي تقوم مقام أي حروف من الأبجدية أو أي مجموعة من الحروف). وهكذا ، فالبحث عن كلمة يدرس Teach نموذج شائع لاختيار التدريس Teaching ، ومدرس Teacher ، ومدرسيين Teachers ، وأيضا يدرس Teach . وربما أيضا نختار مدرسين Teacher's و Teachers، مع أن استرجاع علامات الترقيم تتنوع بين قواعد البيانات . وهذا المصطلح أو المفردة سوف لن يختار بالطبع درس Taught.

وتستخدم قواعد البيانات معيار بولين الجبري Boolean على نطاق واسع لتوحيد مفردات المسح . وعمليات بولين الأربع الأساسية المستخدمة هي : و Andأو OR، لا NOT ، الأقواس أو علامات الحصر ، وتستخدم العديد من قواعد البيانات أيضاً عمليات : علامات التنصيص ( ) ، وقريب Near .

ويمكن استخدام مبادئ بولين الجبرية للمسح بطريقة أكثر تطوراً . على سبيل المثال ، المسح البسيط لكلمة عصابات وعنف Gangs AND violenee يمكن أن تضيق نطاق المسح إلى المقالات التي تناقش نمطاً معيناً من عنف العصابة باستخدام مسح أكثر تحديداً العنصرية والعصابة والعنف racism AND Gang AND Violence؛ ويمكن للمسح أن

يكون أكثر اتساعاً ليتضمن أيضاً المصطلحين الأولين مع العنف Violence؛ لكى نبحث عن مقالات عن العنف ترتبط بالعصابات ، ومقالات عن العنف ترتبط بالعنصرية متضمنة المقالات التي تشير إلى كليهما.

وفى معظم قواعد البيانات ، فإن كتابة عبارة داخل علامات التنصيص يحصر المسح في هذه العبارة بالضبط كما تمت كتابتها داخل تلك العلامات أكثر من البحث من خلال الكلمات المفردة . على سبيل المثال ، بينما تسترجع عبارة المجتمع المحلي والرعاية Community AND care كل المقالات التي تظهر فيها كلا الكلمتين في أي مكان سواء في العنوان أو الملخص – ولكن ليس بالضرورة أن يكونا معاً أو بنفس الترتيب – وعندما نكتب داخل علامات التنصيص العبارة التالية مثلاً " Community care" فإن ذلك سوف يحصر مجال المسح في المقالات التي تظهر فيها تلك العبارة بالضبط.

ويمكن فحص ومراجعة الأسلوب غير المألوف المستخدم من خلال قواعد البيانات لترى المصطلحات الأقرب لموضوع دراستك ، وأيضا من أجل الحصول على المصطلحات الملائمة. على سبيل المثال ، البحث عن مصطلح واحد غير مألوف Home for the Aged on Medlime بيوت المسنين في ميدلاين – نظام مفهرس للعلاج – سيكون أكثر دقة من البحث المساوي له – ولكن عائده مشابه – في النظام غير المفهرس مثل :

Care home * OR home* for the aged OR institutional care OR old people's home* OR old peoples home * OR out of home placement*.

وهذا بالطبع يمكن من توحيد بحوث النظام المفهرسة باستخدام نفس المبادئ بالنسبة إلى النظم غير المفهرسة التي ذكرنها سابقا. وتقع قواعد البيانات المفهرسة ضحية إلى أخطاء وجهل المفهرسين ، مع أن هذا النظم تتطور باستمرار في هذا المجال من الاهتمام . وإذ لم يكن ما مفهرس على نحو ملائم ، فإن المسح الذى يستخدم مصطلحات الفهرس ربما لا يستطيع إيجاد المقال ، في حين أنه من المحتمل أن يجد نص البحث.

ومن الممكن في العديد من قواعد البيانات أن نجعل البحث محدداً إذا أخذنا في اعتبارنا الجوانب التالية : اللغة ، وسنة النشر ، والفترة الزمنية التي كتبت فيها الموضوعات ، ونوع المؤلف . ويوفر المسح عن طريق توظيف نوع البحث ميزة مفيدة على وجه الخصوص ، بشرط أن يتضمن المؤلفون هذه المعلومة في ملخصاتهم على المصطلحات في منهج العلوم الاجتماعية . ومع أن المسح يركز بصفة عامة على الموضوعات .

إلا إنه إذا كان لديك تحديد لمؤلف معين كعالم أساسي في المجال الذى تقوم فيه بالمسح ن فإن ذلك يعد أحد المداخل للتغلب على محدودية ومميزات البحث الحالية، وذلك عن طريق البحث عن اسم الشخص ، وبذلك يسترجع المادة التي كتابها ، والتي ربما لم يتم اختيارها من خلال نص بحثك أو مصطلحات الفهرس .

إن البحث عن الملخصات عن طريق المسح الإلكتروني ذو فاعلية عالية وعملي من حيث التكلفة ، وذلك لكونه يمكننا من مسح كمية كبيرة من المواد البيلوجرافية والتي تكون غالباً المراجع التي لا يمكن الحصول عليها بشكل كامل من خلال الطرق التقليدية على أي حال، لا يجب أن ينظر إلى تقنية المسح الالكتروني على أنها كاملة أو مضمونة فإنه من الممكن دائما أن يكون هناك مرجع هام لا تتوفر له الكلمات التي يجب أن نستخدمها في المسح الذى نجريه سواءً في عنوانه أو ملخصه ، أو ربما تكون قاعدة البيانات التي نستخدمها لا تفهرس الدوريات .

وعلى هذا ، يعتبر الاخذ بنصيحة الزملاء والخبراء ، وتطوير إحساسنا بالإصدارات الهامة ما عن طريق ملاحظة ما يعرضه المؤلفون . والدوريات بانتظام مفيد لبناء نظرة شاملة وعميقة للتراث كخطوة أساسية باتجاه التجميع الهادف لمعظم البحوث المهمة .

(٢) استشارة الخبرة العلمية :

لا ينطوي التراث المكتوب وعناصره المختلفة إلا على جانب بسيط من المعرفة أو الخبرة المتاحة ، وذلك لان هناك الكثير من الناس الذين يحتلون أوضاع تسمح لهم في معرض خبراتهم اليومية لتكوين جانب أخر من الخبرة والمعرفة التي يحتفظون بها في ذاكرتهم إلى لأن الظروف لا تساعدهم على نشرها ، إذ يحتمل أن يكون لدى مدير دار إيداع مثلاً قدر من الفهم والاستبصار يتعلق بخصائص الجانحين الأحداث وفاعلية الأساليب المتباينة في التعامل معهم ، وقد يكتسب القائم بالخدمة الاجتماعية في ميدان الطب النفسي حساسية للظروف البيئية التي تعوق تكيف المرض المفرج عنهم من مؤسسة عقلية ، وكذلك قد ينمو لديه فهم لتلك العوامل التي تدعم هذا التكيف ، بحيث يكتسب مثل هؤلاء المتخصصين في مجري حياتهم العملية رصيداً من الخطة قد يكون لها قيمة كبيرة في مساعدة المشتغلين بالعلوم الاجتماعية وتجعلهم على دراية بالمؤثرات الهامة التي لها فاعليتها في أي موقف قد تتركز عليها دراساتهم الاستطلاعية.

انتقاء الخبرات :

وتملى علينا خاصية الاقتصاد في البحث ضرورة قيام عملية مسح الخبرات على الانتقاء الواعي ، وطالما كانت عملية مسح الخبرات تهدف إلى تحقيق نوع من الفهم والاستبصار بالعلاقات بين المتغيرات أكثر من اهتمامها بالتقارير الإحصائية المتعلقة بهذه المهنة . كان من الضروري انتقاء ذوى الخبرة الذين يحتمل أن يقدموا لنا أكثر من غيرهم في هذه الاستبصارات التي نبحث عنها أو بعبارة أخري انتقاء عينة من الأشخاص العاملين في الميدان الذى نهتم بدراسته .

بحيث يستبعد من مسح الخبرات هذه الأشخاص قليلي الكفاءة أو الذين يفتقرون إلى الخبرة الملائمة أو من تعوزهم القدرة على توصيل خبراتهم إلى الاخرين . وان يشمل المسح كل شخص ينظر إليه باعتباره إخباري نشطاً ، وربما كانت الطريقة المباشرة لانتقاء الاخباريين هي التي نطلب فيها من القائمين على أمر الإدارة والعاملين في الميدان الذى يريد الباحث دراسته بأن يشيروا لنا إلى الأشخاص الذين تتوفر لديهم معلومات أكثر وخبرة أنسب وقدرة أفضل على التحليل . وبرغم من هذه الطريقة قد تضمن لنا التوصل إلى الاشخاص الذين لديهم خبرة تحفزنا على الاستبصار والفهم إلا أنها قد توصلنا إلى الاشخاص ذوى السمعة بما لديهم من خبرة وأفكار جديدة بحيث يزداد اكتمال التواصل إلى الاخباريين الأكثر فائدة إذا أوصي أكثر من مصدر واحد مغاير للآخر فى وجهة نظره بضرورة الرجوع إلى الأشخاص معيين .

وعلى الرغم من أن العينة العشوائية من المشتغلين في الميدان الذى يهتم به البحث قد لا تكون لها قيمة كبيرة في عملية مسح الخبرات إلا انه من المهم أن ننتقي هؤلاء الإخباريين بصورة تحقق لنا شرط تمثيل النماذج المتباينة في وجهات النظر وفى أنواع الخبرة . فمن الجوهري مثلا في مسح الخبرات حول العوامل المؤثرة في الروح المعنوية بين المشتغلين بالصناعة ، أن تجري مقابلات شخصية مع إخباريين من بين صفوف الإدارة والعمال ، وإخباريين على مختلف المستويات في كل جماعة – العمال - ملاحظي العمال - شئون الأفراد - مديري النقابة ، وهكذا للتوصل إلى وجهات نظر متباينة .

سؤال الإخباريين :

ومن الضروري قبل القيام بأي محاولة منظمة لجم الاستبصارات من الاخباريين أن تكون لدينا بعض الأفكار الأولية المتعلقة بالقضايا الهامة في الميدان الذى نهتم بدراسته. ويعد مسح التراث والقوائم البيلوجرافية من أحد مصادر هذه الأفكار كما أشرنا سلفا ، ينبغي عند تكوين دليل للمقابلة الشخصية وتوجيه الأسئلة المنظمة للإخباريين أن تجري مقابلات غير مقننة مع الأشخاص الذين عرفوا بخبراتهم المكثفة في ميدان البحث ونتناول معهم او نعرض عليهم تلك المعلومات التي استخلصناها من مسح التراث .

وعلى الرغم من أن إضفاء طابع التقنين والتنظيم على المقابلات الشخصية قد يسهم في ضمان الإجابة على التساؤلات التي يطرحها الباحث ، إلا أن الاحتفاظ بقدر من المرونة في المقابلة يتيح الفرصة أمام الإخباري لإثارة القضايا والتساؤلات التي لم يأخذها الباحث في اعتباره سلفا من قبل . ومن المفيد عموماً في بلورة تساؤلات يعتمد عليها دليل المقابلة الشخصية مع الإخباريين ، أن نوجه انتباهنا نحو العوامل المؤثرة التي تسهم في إحداث التغير ، ذلك لأن العاملين في الميادين الاجتماعية التطبيقية . والذين ينتبهون بالضرورة إلى الحاجات الملحة التي يحتاج إليها العمل الذي يشغلهم ، يتجهون باهتمامهم نحو تحقيق التغير ونحو العوامل المؤثرة فيه.

ويحتمل أن أكثر فهما وقدرة على الإجابة علي السؤال المصاغ في عبارة تطبيقية من الإجابة علي سؤال آخر يغلب عليه الطابع المجرد. ويتيح ذلك التركيز علي التغير أمام الباحث فرصة جمع استبصارات بالعمليات التي تستمر في التأثير عبر فترة زمنية، والتي يعمل الوضع الفريد لهؤلاء المنفذين علي سهولة ملاحظتها.

وإذا لم يكن اهتمام الباحثين منصرفا فقط نحو العلاقات النظرية المحتملة بين المتغيرات وكانوا يهتمون أيضا بمضامين هذه العلاقات ذات الصلة بالسلوك الاجتماعي ، فإنهم في حاجة ألي أن يعرفوا كيف تميل هذه المتغيرات إلي التجمع في جوانب حياتنا اليومية ، وكيف أن هذه المجموعات من المتغيرات التي توجد دائما تدعم أو تعوق عملية تحقيق الأهداف المرعوبة من الناحية الاجتماعية .

ويحتمل عموما أن تطول المقابلة التي تهدف إلى جمع الخبرات ، وتستمر لساعات عديدة ، ومن المفضل بالنظر إلي طبيعة المعلومات المرغوب فيها، أن تعطى فرصة للإخباري ليستعد قبل عقد المقابلة بأسبوع وتسليمه نسخة من التساؤلات المطلوب مناقشتها. ويعطى هذا الإجراء للإخباري فرصة لكي يمدنا بأفكاره المتطورة ويمكنه في الوقت نفسه من استشارة زملاءه والوقوف علي معارفهم التي اكتسبوها من خبراتهم الخاصة.

وكذلكـ يمكن لعملية مسح الخبرات كمصدر مناسب لاشتقاق الفروض، أن تمدنا بمعلومات تتعلق بالإمكانيات العلمية اللازمة لإجراء نماذج متباينة من البحث وتجيب علي عدة تساؤلات مثل :أين يمكن أن نجد التسهيلات التي يحتاجها البحث؟ وأي العوامل يمكن التحكم فيها ؟ وأيها يصعب التحكم فيها بخاصة في المواقف التي نريد دراستها؟ وإلي حد يمكن أن تتعاون مختلف الهيئات والعاملون والمواطنون العاديون في مشروعات البحث الذي تتطلب وتتناول مشكلات هامة والتغلب عليها؟ وقد تمثل الإجابات علي هذه التساؤلات وغيرها من المشكلات العلمية المماثلة أحد النتائج الجانبية لعمليات مسح الخبرات خاصة تلك التي تتم بطريقة مخططة بعناية فضلا عن أن مثل هذا النوع من المسح قد يمدنا بفهم المشكلات إلي ينظر إليها باعتبارها ملحة من جانب العاملين في ذلك الميدان الذي تهتم بدراسته. كما يكون لهذا الفهم فائدته القصوى في أولويات الموضوع التي يمكن أن تتناولها برامج البحث.

وليكن واضحا تماما أن مسح الخبرات قد يفقد قيمته أنلم يستند إلي عينة ممثلة من العاملين في الميدان الذي تدرسه، وتزداد الفائدة بزيادة ما يعرضوه علينا من فهم و استبصارات وأساليب أكثر من أشارتهم إلي كل ما هو نموذجي في هذا الميدان .

<u>دراسة الحالات المثيرة للاستبصار:</u>

وجد الكثير من المهتمين بدراسة الميادين الحديثة نسبيا أو الموضوعات التي لم يتوافر حولها إلا قدر ضئيل من الخبرة ، أن الدراسة المتعمقة لمجموعة منتقاه من الحالات يمكن أن تمثل إجراءً منهجيا مثمرا في إثارة الاستبصارات وتنمية الفروض التي تحتاج إلى بحوث أخري في المستقبل.

فلقد أدت دراسات الحالة المتعمقة التي أجراها فرويد علي المرضى إلي بلورة كثير من استبصارا ته النظرية ذات الدلالة . كما طرأ علي تصوراتنا للعلاقات بين السلوك الإنساني والمجتمع قدر كبير من التغير بفضل الدراسات الإنثروبولوجية لبعض الثقافات ، وخاصة جوانبها اللامادية أو غير التكنولوجية .

ولا يقصد بدراسة بعض الحالات هنا تطبيق دراسة الحالة بالمعني الضيق علي تحليل السجلات التي تحتفظ بها الهيئات الاجتماعية في العلاج النفسي مثلا، وإنما يقصد بها إجراء دراسة مركزة أو متعمقة لعدد منتقي من الحالات في نطاق الظاهرة التي نهتم بدراستها.

وقد يكون التركيز هنا علي أفراد ، أو مواقف ،أو جماعات ،أو مجتمعات محلية، كما قد نعتمد في هذه الدراسة علي فحص السجلات المتاحة ، وإجراء مقابلات غير مقننة أو ملاحظة بالمشاركة أو غيرها من أساليب البحث الاجتماعي.

وهناك عدد من السمات المميزة لدراسة بعض الحالات علي هذا النحو تجعلها بمثابة إجراء منهجي مناسب لاستثارة الاستبصارات، فهي تسهم في تنمية استعدادات الباحثين وقدراتهم في سعيهم وراء الفهم والتعرف علي معالم الموضوع والاهتمام بعملية إعادة الصياغة والتوجيه كلما ظهرت لهم معلومات جديدة، أو كلما تغيرت نوعية المعطيات التي يقومون بجمعه.

كما تمتاز هذه الطريقة في الدراسة بدرجة من التعمق لظروف الحالات التي تتناولها سواء كانت فردا أو جماعة أو مجتمعا محليا، أو ثقافة، أو مواقف، أو حادثة مختارة في مثل هذا البحث، والذي يجتهد الباحث من خلاله في التوصل إلي المعلومات الكافية التي تعينه في تمييز وتفسير كلا من الخصائص الفريدة التي تميز الحالة المدروسة وتلك الخصائص التي تشترك فيها مع حالات أخرى. وذلك عن طريق إجراء فحص متعمق لكل من المواقف الراهن لهذه الحالات ولتواريخ حياتهم .

كما تمتاز طريقة دراسة الحالات هذه بأهميتها في تحقيق التكامل بين جهود الباحثين ودعم قدراتهم علي تجميع مجموعة متباينة من المعلومات والتعبير عنها في تفسير موحد. ولقد أدت هذه السمة الأخيرة بكثير من النقاد في نظرتهم التحليلية لطريقة دراسة الحالات المثيرة للاستبصار هذه إلي اعتبارها نوعا من الطرق الإسقاطية التي تعكس ميول المفحوصين موضع الدراسة. ولكن مع تقديرنا هذا النقد إلا أنه لا يقلل من أهمية هذه الطريقة، طالما كان هدفها هو استثارة الفروض وليس اختبارها.

وعموما ، وجد المشتغلون بالعلوم الاجتماعية الذين استعانوا بهذه الطريقة أن دراسة عدد قليل من الحالات قد تسهم في مدنا بثروة من الاستبصارات الجديدة، وذلك بالمقارنة بحصاد الطرق الأخرى الذي لا يزيد عن عدد بسيط من الأفكار الجديدة

وبرغم صعوبة وضع قواعد بسيطة تفيد في انتقاء بعض الحالات وإخضاعها للدراسة. فلقد ساعدت الخبرة بالبحوث الاستطلاعية علي حصر نماذج معينة من الحالات تفيد أكثر من غيرها في هذا الصدد .

١- الحالات المتطرفة :(الغرباء- الهامشيون- المنحرفون):

فقد يكون الغرباء والقادمون الجدد أكثر استجابة لخصائص وسمات المجتمع المحلى والتي تخفى على الباحث الذي نشأ في ظل هذه الثقافة، وقد يكون الشخص الغريب أكثر حساسية للعادات الاجتماعية والممارسات التي يقر بها أعضاء المجتمع المحلي دون مناقشة بحيث تؤدي الدهشة الناتجة عن ذلك أو حب الاستطلاع إلي توجيه الانتباه نحو خصائص معينة أو معالم للحياة في هذا المجتمع المحلي لا يلاحظها أعضاء المجتمع لأنهم قد تعودوا عليها.

ويماثل هؤلاء الغرباء والقادمون الجدد من بعض الجوانب فئة أخري من الأفراد الهامشيين أو الجماعات والذين يتنقلون كثيرا من جماعة ثقافية إلي أخرى ويعيشون علي هامش الجماعتين. ونتيجة لوضع هؤلاء الهامشيين المتردد بين جماعتين، فإنهم يعانون من الضغوط المتعارضة من جانب هاتين الجماعتين، بحيث يكون باستطاعتهم الكشف بوضوح ظاهر عن المؤثرات الرئيسية التي تلعب دورها في كل جماعة.

ذلك لأن دراسة المهاجرين ة الأشخاص المبعدين مثلا والذين يحاولون أن يتوقفوا مع الجماعات الثقافية الأخرى ، أو النساء اللاتي يعملن في مهن يغلب عليها نسبة الذكور علي الإناث يحتمل أن تمدنا بزاد وافر من المعرفة حول العلاقات بين الجماعات . وكذلك قد تفيد دراسة الأفراد والجماعات الذين يتنقلون من مرحلة إلي أخري من مراحل النمو في زيادة معارفنا، فمثلا ، يحتمل أن تمدنا الدراسة المتعمقة للأطفال أو المراهقين أو النساء في فترة اليأس بقدر من الاستبصار بعملية التغير الاجتماعي، وبالخصائص النفسية الاجتماعية التي تميز مراحل النمو المتعاقبة. وبالمثل قد تلقي دراسات حالات كالمنحرفين والمعزولين وغيرهم من الحالات المرضية الضوء علي الحالات العادية أو غير المرضية، فقد تلقي دراسة جماعات المنحرفين مزيدا من الضوء علي المعايير الاجتماعية والممارسات التي انحرفوا عنها ، وتشير في الوقت نفسه إلي نماذج الضغوط التي تؤدي إلي الامتثال، وكذلك تجعلنا نقف علي النتائج النفسية الاجتماعية لعدم الامتثال.

وربما قد يساعد ذلك علي الكشف عن الطرق التي تتحقق من خلالها التغيرات الاجتماعية. كما قد يساعد تحليل جماعات المعزولين، بالمثل، علي إبراز العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك في جماعة معينة أو في المجتمع المحلي، وقد تكشف أيضا عن الأسلوب الذي تتغير به الاتجاهات والمعلومات في الجماعة.

٢-الحالات الوسط:

كما أن الحالات الوسط pure تعد أيضا حالات مثمرة في إثارة الفهم والاستبصار. مثل ذلك دراسة (ليفي)Levy عن تزايد رعاية الأم لأطفالها وأسبابه ونتائجه علي الأطفال، وكيف يمكن التغلب علي الصعوبات الناشئة عنها؟ ومن خلال تحليله لتقارير الحالات التي تعالج في بعض عيادات توجيه الأطفال،

وانتقائه لحالات دراسته المتعمقة بناء علي معيارين اثنين: الأول الأمهات اللاتي يبالغن في رعايتهن لأطفالهن من الارتباط الشديد بهم، ومعاملة الأم لأطفالها باعتبارها رضع، ومنع الأمهات أطفالهن من الاستقلال في سلوكهم، والثاني يمثل الحالات الوسط بمعني حالات الأمهات اللائي لا يبالغن في رعاية أطفالهن، وفي الوقت نفسه لا يمهلن هؤلاء الأطفال علي أساس أن الجمع بين الرعاية والإهمال يختلف عن التزيد في الرعاية في حد ذلته، وقد يكون له أسباب ونتائج مغايرة. ولقد أسهم هذا الإجراء في توفير قدر معقول من المعلومات حول سلوك الطفل ،وأنواع المشكلات المترتبة عليه، وحول فعالية العلاج.

كما قد يساعد انتقاء الأفراد الذين يمثلون أوضاعا متباينة في البناء الاجتماعي علي مدنا بنظرة دائرية للوضع الذى يشغلونه. وقد يجد الباحث في معظم الجماعات الاجتماعية قدرا من التباين في المكانة الاجتماعية وتخصص الأدوار أو الوظائف، ويحتمل أن يتوافر لدي الأفراد الذين يشغلون هذه الأوضاع المتباينة فهما مغايرا للموقف الذي ندرسه

ويعد هذا التباين مصدر خصب للاستبصارات التي نسعي إليها. وهكذا لا تقل عملية مقابلة العمال في مشروع عمل عن عملية مقابلة المدراء. ويسهم هذا في إظهار التباين وكذلك التماثل في النظرة الاجتماعية لهؤلاء الأفراد الذين يشغلون أوضاعا متباينة أو ينجزون وظائف مختلفة. في الوصول إليها، ونعني بها، مسح التراث واستشارة الخبرة العملية، ودراسة الحالات المثيرة للاستبصار، كما يوضح في الوقت نفسه أهمية البحوث الاستطلاعية، بحيث أنه إذا حدد الباحث مشكلة بحثه من بين واحد من الأهداف المعروفة للبحث الاستطلاعي والمشار إليها سلفا ، لا يجد مفرا من الالتزام بهذه الأساليب المنهجية الخاصة بالبحث الاستطلاعي وأخذها في اعتباره وهو يفكر في تناول المشكلة ويضع التصميم

المنهجي المناسب لها. وهذا ما حاولت الهيئة التي أشرفت علي إجراء بحث السرقة عند الأحداث عندما حددت هدفها في التعرف علي عوامل جريمة السرقة التي انتشرت بين الأحداث في مدينة القاهرة في محاولة منها لزيادة الفتها بهذه الظاهرة .

وحتي يتسنى لها تمهيد الطريق أمام البحوث الأخرى التالية والأكثر تعمقا، وقامت بإتباع الأساليب والاجراءات المنهجية المخصصة للبحث الاستطلاعي، بأن أجرت مسحا للتراث، وعقدت لقاءات مع ذوى الخبرة بظاهرة جناح الاحداث من رجال البوليس والقضاء ، وقامت أخيرا بإجراء دراسة حالة ابعض الاحداث الذين عرف عنهم التطرف في السرقة لتلقى من خلال ذلك الضوء علي الظروف الفيزيقية، والنفسية ، والبيئية ، والاقتصادية ، والاجتماعية لهؤلاء الاحداث ، وتبلور عدد من النتائج المتعلقة بالأحداث منن حيث فئاتهم ، وطفولتهم ، وأسرهم ، واتجاهاتهم الدينية والخلقية، ومواقفهم من التحقيق، ومن حيث أنواع السرقة وأماكن ارتكاب جرائم السرقة وظروفها وعلاقة المجني عليه بالجناة -نتائج كما هو واضح زادت من ألفة هيئة البحث بهذه المشكلة، وأوضحت جوانبها المختلفة، وحددت عناصر لها الأولوية وتستوجب الدراسة المتعمقة بعد ذلك، وخاصة ظاهرة النشل عند الأحداث، وبهذا مهدت دراساتهم الاستطلاعية للسرقة الطريق أمام بحوث أخري أكثر تعمقا حول هذا الجانب الهام ،وهو النشل عند الأحداث فيما بعد.

وكانت الهيئة المشرفة علي بحث الهجرة الداخلية معنية أيضا بإجراء بحث استطلاعي لهذه الظاهرة من خلال حصرها للدراسات العلمية المختلفة لنفس هذه الظاهرة في مجتمعات أخرى، وتحليلها للتقارير الاحصائية التي أمكن الحصول عليها، ومن خلال دراسات حالة لمجموعة من المهاجرين إلي مدينة القاهرة من خلال اللجنة المركزية للإحصاء، والمتخصصين في القوي العاملة، ولقد ساعدتهم هذه الإجراءات المنهجية في إلقاء الضوء علي ظاهرة الهجرة الداخلية ، من حيث مناطق طرد المهاجرين وعوامل جذبهم في المدينة، ووسائل هجرتهم، وأساليب تكيفهم، وجوانب حياتهم التي طرأ عليها التغير بعد الهجرة..... إلخ

أسئلة المحاضرة الخامسة

س١/ ما المقصود بالمسح الإلكتروني للتراث ؟

س٢/ ((أن الدراسة المتعمقة لمجموعة منتقاه من الحالات يمكن أن تمثل إجراءً منهجيا مثمرا في إثارة الاستبصارات وتنمية الفروض التي تحتاج إلى بحوث أخري في المستقبل.))

اشرحى / اشرحي العبارة السابقة